الصحافة العربية ، الرسمية وشبه الرسمية ، فلاول مرة بعد نكبة العام ١٩٤٨ ، تقوم صحافة علنية ، تستعرض وتناقش بحرية تامة ، قضايا الثورة الفلسطينية والعربيـــة ، وقضايا حركات التحرر الوطني العالمية ، ولاول مرة يجد القارىء الفلسطيني بين يديه ، هذه الاعادة المكثفة لتاريخه الوطني ، بنهج تحليلي ، في معظم الاحيان ، ولاول مرة ، يقرأ الجمهور الفلسطيني ، عدوه ، بهذه الكثافة ومـــن جوانبه المختلفـــة ، السياسيـــة والاقتصادية والاجتماعية . يقرأ علاقاته وتحالفاته الدولية ، ويتابع تأثيرات مثل هذه العلاقات على نضاله وعلى قضيته . لقد أوجدت صحافة المقاومة، وعيا عاما بين الجمهور الفلسطيني ، بالقضية الفلسطينية ، وعيا يختلف كثيرا عن ذلك الوعي المسطح والهامشي ، الذي أوجدتـــه السياسات الرسمية العربية وأجهزة اعلامها ، وعيا بدأ ينتزع من ذهن الجماهير الفلسطينية ، الافكار الشوفينية والرجعية ، والاوهام السابقة ، عـــن معـــركته التحريرية . لقد أوجدت صحف المقاومة **الرئيسية** ، خلال فترة قصيرة من الزمن ، مكانة مرموقة لها ، بين العديد من المهتمين بالقضية الفلسطينية ، سواء على المستوى العربي او الدولي ، وساهمت هذه الصحف ، مساهمة فعـــالة ، في التعريف بالقضية الفلسطينية وبنضالات الشعب الفلسطيني في الاوساط التقدمية في الرأي العام العالمي ، كما ساهمت مساهمة فعالة في اذكاء وتعميق الحوار حول واقع حركة التحرر الوطني العربية ، وكانت النافذة التي أطلت منها العديد من الحـــركات الوطنية والديموقراطية على الجمهور العربي ، في وقت كانت تتعرض فيه للخنق الاعلامي من اكثر الصحف العربية .

الا انه ، علـــى الرغم من هذه الظواهـــر الايجابية ، فان أكثر من ظاهرة سلبية ، مثلتها هذه الصحف خلال السنوات القليلة الماضية . ومن هذه الظواهر البارزة ، عـــدم قدرة صحف المقاومة على الجمع بشكل خلاق بين كونها صحفا تعبر من الناحية العامة عن حركة تحرر وطني تضم منظمات عديدة باتجاهـــات سياسية وايديولوجية مختلفة ، وبين كون هذه الصحف ، منفردة ، تعبر عن احدى هذه المنظمات . ان عدم القدرة هذه ، أوقع صحف المقاومة ، في مناقسات اعلامية ، وفي معارك جانبية ، محض ذاتية ، كما ولد لديها حالة من الانانية بالتركيز علـــى اخبار ونشاط التنظيم الذي تعبر عنه ، وتغييب اخبار ونشاطات التنظيمات الاخرى . لقد ولدت هذه الظاهرة حالة من الارباك السياسي لدى الجماهير ، وأفقد صحف المقاومة عموميتها لحساب خصوصيتها ، ودفعها الى الوقوع في فخ العصبوية التنظيمية .

ومن هذه الظواهر الاكثر بروزا ، عدم قدرة صحافة المقاومة على تجاوز الظاهرة العامة التي اتسم بها الاعلام العربي ، وهي ظاهرة الاعلام المضخم والطرح الاخباري المبالغ فيه ، فساهمت صحف المقاومة الى جانب الاعلام العربي في تضخيم العمل الفدائي الفلسطيني ، وفي المبالغة فـــي العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها فصائل المقاومة المختلفة . ف « الهدف »(١٣١) مثلا كانت لا تجد حرجا في تقديم بعض العمليات العسكرية العادية بعناوين بارزة ومضخمة ، فخطف طائرة مثلا قدمته بعنوان رئيسي « عملية خطف الطائرة الاميركية تهز العالم ، الفدائيون يوجهون ضربـــة مؤلمة للامبريالية الاميركية » وكذلك «الحرية»(١٣٢) ايضا لم تجد حرجا ان تساهم في تضخيم بعـــض العمليات الفدائية العادية ، وتقديمها كأنها عمليات تمثل تطورا نوعيا في العمل الفدائي الفلسطيني . وقس على ذلك العديد من صحف المقاومة الاخرى، ان هذه العقلية الاعلامية ، التي كانت تركض وراء بعض الاخبار العادية وتضخيمهـــا ، تولد نتائج خطيرة ، لا يمكن الاستهانة بها ، لانها من ناحية ، تعكس نفسها على مناقشة وتحليل اية ظاهرة او قضية ، من ظواهـــر وقضايا الثورة ، بدقـــة وموضوعية ، كما انها من الناحية الاخرى ، تهدم جدار الثقة الذي يمكن ان يقوم بين هذه الصحف وجماهير الثورة ، بالاضافة الى انها تنمي آمالا زائفة لدى هذه الجماهير ، تدفع بها الى عدم تلمس المخاطر الحقيقية التي تواجهها ، والى النيل من قدرتها على الصمود في الظروف الصعبة .

بالاضافة الى هاتين الظاهرتين الرئيستين ، فان هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي أن صحف المقاومة ، على الرغم من انها غطت خلال هـــذه السنوات القليلة ، العديد من قضايا وجوانب القضية الفلسطينية وتفرعاتها العربية والدولية ، الا أنها تجاهلت تسليط الضوء على قضايا تعتبر